

النحل طاف المراعي وأهداك السلام رحيق (١-٢)

الي الشاعر
عمر الدوش
في ذكري
رحيله
التاسعة

بقلم: د. عبد القادر الرفاعي

إن الفن لا يعبر عن مشاعر الناس وحدها على نحو مجرد (بليخانوف) إن الروائع الفنية تحافظ على قيمتها حتى بعد زوال الحضارات التي أنجبها (كارل ماركس)

لم تكن (الساقية) لتمثل الشاعر عمر الدوش «ولا الحزن القديم» لم تكن تجسد ما يعرفه الدوش عن أسال الوطن وأحزانه .. أهله وأحلامهم، فقراءة وطبقاته الشعبية، أمانيه وتطلعاته الإنسانية الواسعة .. فانصرف إلى كتابة الشعر «راجع دواوينه الساقية وليل المغنين وكتابات في المسرح».

أشعار عمر الدوش تعبير حي وصادق عن قصة الوطن وأهله في صراهم اليومي المرير مع الموت المتمثل في الظلم والعواصف الغادرة يقابلونها بأشروعهم الممزقة وعزمهم الذي لا يلين .. ذلك المستمد اساطير كالصخور ففيها روح أسطوري حنون ولكنه غائص كالجنود بالأرض.

«الساقية لسمة مدورة» تلك هي صيغة الاحترام العميقة التي أطلقها عمر الدوش على لسان «أحمد ابن الشعب» بطل القصة الأول الذي يؤمن بضرورة النضال من أجل الحياة وهو في عنفوان شعوره بقواه التي لا يخور وأماله التي لا تحبو، أحمد

الذي يعرف كيف يكون ترويض الصعاب يصارعها بفتوة الفار .. يعبر بحور .. يهدم جبال بوقع أقدامه فتهتز الأرض من تحته. هي قصة بلادنا قبل ثورة أكتوبر ١٩٦٤م وبعدها في زمن الحرب ضد الشمولية الوالغة في دماننا إلى يومنا هذا ... صور عمر الدوش ببراعة مدهشة آثار الصراع السياسي والاجتماعي على حياة الناس وما خلفه ذلك من عواصف وتناقضات كادت أن تقترب حياتنا، ولكنها في البدء والختام قصة الانتصار على شروط الحياة القاسية وقصة الإرادة السودانية الغلابة:

«أحمد حكى ووسد الرأس الصراع

والشوف نواحي النيل تكا

وصاني أبوي

الموج بيهدم كل رخوة على الجروف

شد الصراع

والنيل بقاوم من زمن كل الظروف

شد الصراع

زي المراكب مع الشراع

لازم تعرفو الظلم جاي من وين عليك

وعلى شان يكون الحق ليك

تعبر بحور، تهدم جبال

الغبطة والمجد» والفن يحاكي الواقع لكن

والحق في ساحة مجزرة

والنصر للفأس والرجال

ولي سواقي مدورة»

لم يفضل عمر الدوش أساسه الصادق بالمشكلات الجمالية عن الاهتمامات السياسية والقيم والأخلاق الأصلية، فهو في هذا مثل أفلاطون: «تذكر لأشياء مقدسة كانت النفس الإنسانية قد تأملت وتملت فيها أثناء وجود سابق لها ملؤه الغبطة والمجد» والفن يحاكي الواقع لكن عليه أن يختار ما يحاكيه وأن يتمسك بما هو صحيح ومستقيم وجميل، الفن الذي يضع نفسه في خدمة السياسة والأخلاق والقيم والناس (راجع الفن والتصوير المادي للتاريخ لجورج بليخانوف - ترجمة جورج طرابيشي - منشورات دار الطليعة - بيروت).



الشاعر الدوش والفنان ابوعركي البخيت

عمر الدوش الشاعر الفنان لم يكتف في فنه بتوفير المتعة الجمالية بل تجاوز ذلك بقناعة فرضت عليه أن يخدم بأوسع ما تطوى عليه هذه الكلمة ونبلها .. وعن طريق الفن وصل الإنسان إلى الوعي ذلك إن مضمون الفن هو المصلحة العامة لهذا فإن لغة الأثر الأدبي ومضمونه وتركيبته وطابعه الجمالي قد تحددت في إطار ذلك المضمون، والتصوير الذي كونه عمر الدوش لنفسه عن الواقع والتجربة التي يمتلكها وبالفكر الذي يعبر عنه.

وكما سنرى، فإن المأساة الوطنية في يوليو ١٩٧١م على فجيعتها تثير في عمر الدوش روح التحدي وجعلته يعلن قبول المعركة حين وقف الوطن كله حيث بدأت المعركة، ويوم وقف العالم مروعاً أمام الاجتياح المايوي الحاقدي يصفي حسابه مع حركة التقدم وقواها الاشتراكية «والحق في الساحة مجزرة».

قلته من الناس باستثناء المناضلين المؤمنين بقضيتهم ظلوا على أمل لا يتطرق إليه الشك، وكان عمر الدوش من هؤلاء، وعليه وهو خارج الجدران (كان عانداً من زيارة لمصر) بعد الهزيمة بأسبوع واحد

متابعات ثقافية

مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي يحتفل بجائزة الطيب صالح

خلافاً لمجموعة من النصوص التي أتت في صور تقريرية واهتمت بنقل الواقع الموازي، وهو إشكالية معلة في الرواية. وأشار إلى تناول الروايات إلى القضايا الاتبية وبشكل أساسي الحرب، الاغتراب والزواج العرفي وأكد على ضرورة الاتساق والترتيب للمنجز الجمالي وروية السرد والتشابك الزمني والمكاني.

أعلن عن فوز النصوص الروائية:

● مشروع إبراهيم الأسمر الروائي: للقاص حامد بدوي بشير، نال الجائزة المالية والتقديرية وقد عاجلت الرواية تاريخنا المعاصر بموضوعية وحظت بالصور الدرامية.

● في تقويم الورد: للقاص محمد خلف الله سليمان، نال الجائزة التقديرية، أتت الرواية في طريقة مبتكرة وأفق جديد يفتح نحو الحدأة والتجديد.

● أبقار ديتانق الجميلة: للقاص بدر الدين عبد العزيز بلال، نال الجائزة التقديرية، استلهمت الرواية الأسطورة وأعدت إبداعها. اقترن الاحتفال منذ الدورة الأولى بتاريخ ثورة ٢١ أكتوبر ... التاريخ الذي حفر عميقاً في وجدان الشعب بذات الكيفية التي سار عليها أدياء هذا الوطن بما صاغوه من فن وأدب.

فتبقى الذكرى والتاريخ استنهاضاً للهمة المبدعة والحماس الجميع فالكتابة والذكرى شهادة وجسارة وتاريخ في صفحات هذا الوطن.

عمر الحضور البروفيسر عبد الملك - البروفيسر فاروق محمد إبراهيم - أ. عماد ميرغني - أ. إبراهيم اسحق رئيس اتحاد الكتاب السودانيين - أ. شابو رئيس رابطة الكتاب ... وكان حضور د. الصادق علي سيد أحمد «أمين المصنفات الأدبية والفنية» ملفتاً وقد أعلن عن جوائز مالية من مجلس المصنفات الأدبية والفنية للروايات الفائزة.

تبقى ذكرى الدورة الخامسة ورياح الذكرى الثالثة والأربعين لثورة أكتوبر مصحوبة بدعوتنا الشاهقة ... الآن افتحوا أبواب الحريات للمبدعين ودعوا الإبداع ينمو فللمبدعين حقوق وقوانين تحميها ولتندد لمراجعتها وإعادة صياغتها بديمقراطية ... وسن تشريعات اللجان وتكونها بشفافية وأن افتحوا الأبواب ليتنفس الإبداع والمبدعون بحرية في وطنهم.

ويرددون مشتاقك كثير والله «محبوب شريف» وأذكرني أيام صفانا وغير ذلك، في عيد رمضان عام ١٩٧٢م أستمع إليهم الراحل بشير محمد سعيد ومعه عابدين إسماعيل وعبد الوهاب بوب ومصطفى عبد القادر وميرغني النصري ومشاوي المحامي وآخرون ممن كانوا معتقلين علق الراحل بشير محمد سعيد إن لهؤلاء الشباب أشياء ثلاث، غذوية الصوت ورقة الاحساس ونبل القضية فلن يهزموا أبداً.

ومع الأيام كتب عمر الدوش الحزن القديم «بتطلي أنت من غابات ومني أنا ومن صحبة جروف النيل مع الموجة الصباحية

ومن شهقة زهور عطشانة فوق أحزانها منكبة

بتطلي أنت من صوت طفلة وسط اللمة منسية»

عمر الدوش هنا مثل أمير الشعراء «أحمد شوقي» الذي قال «الزهر في أكامه بكى»

ومنذ أن غادر عمر الدوش دنيانا وأنا أهم بالكتابة عنه فلا تواتيني قريحة ولا يساعفني بيان ولعل اللوعة على فقده الحميم - لا يعرفها الا الحميم - تعصب الفم وتعدد القلم، ولكنني ظلت ونفسي نتهامس وأين الوفاء؟ وحق الأخواء ورفقة صدق ومبدأ وفكر خمسا وأربعين سنة؟ مع إن لطفه ما بارحني وصورته ما انتقلت من عيني إلى خاطري.

هذه كلمات من قلبي إليك يا عمر الدوش، يا خفيف الروح، يا حبيب الروح يا أس الحياة وصافي الود ويا رفيق الوتر، هذه الكلمات عنك أرسلها إلى محمد ميرغني نقد وطه وخالد الك وميرغني المحسي وعلي عبد القيوم وأبو ذكري في عليانهم وإلى الأحياء الشهداء محجوب شريف وصلاح العالم ومبارك بشير وكمال عوضة ومحمد المهدي بشري إلى زوجتك سعادة محمد الحسن وبناتك ويا عمر الدوش «كان بدري عليك».

متون

I.S.KATSNELSON

تأليف: أي - أس كاتسنلسون

بروفيسر في التاريخ

الجنسية: روسي

إسم الكتاب: افريقيا في الدراسات السوفيتية

AFRICA N SOVIET STUDIES

التاريخ: ١٩٨٢م

ترجمة: د. الصادق أزرق

تلخيص: د. عبد القادر الرفاعي

بعد الحرب العالمية الثانية، عاد أ. س - كاتسنلسن مرة أخرى للعلم حيث قام بتدريس مادة تاريخ «الشرق القديم» في جامعة موسكو وأجرى بحثاً مكثفة حول تاريخ السودان القديم باعتباره من الحقول المعرفية التي لم يتم تناولها والاهتمام بها عملياً وفعلياً في السابق، وقد تمثلت النتيجة الأولية والأساسية لهذا الجهد في الأطروحات البحثية لطلبته والتي تناولت مشاكل بروز وظهور الملكيات في النوبة القديمة حيث تمت مناقشة هذه الأطروحات وأجزأتها في عام ١٩٤٧م.

وفيما بعد تابع كاتسنلسن دراساته لتاريخ السودان القديم حيث قام في عام ١٩٧٠م بنشر أطروحته لنيل درجة الدكتوراه وإصدارها في شكل كتاب بعد إجازتها بعنوان (ممالك السودان القديمة: نبذة ومروى) وقد ساهم هذا الجهد المتفرد في التعريف- في ذلك الوقت - بالتطورات التاريخية والاقتصادية والسياسية في مملكة مروى - نبذة، كما وضع هذا العمل الفريد فهماً وإدراكاً أصيلين لكل ما يتعلق بدوره ومكانته داخل نظم المجتمعات الشرقية القديمة.

وقد أكد هذا العالم الأهمية الكبرى لدراسة الفلكلور السماعي والشفاهي وقام باختيار بعض أحاجي أهل السودان واقترح ترجمتها والتعليق عليها، وقد أبرزت الدراسات المقارنة الحديثة إن هذه الأحاجي قد حافظت على الأساطير المتأخوذة من تاريخ السودان القديم عبر الأجيال قد تم الاستفادة منه كمصدر قيم لدراسة تاريخ الوطن.

في هجاء الكتابة

شعر: علي عبد القيوم

أهذه غيبوبة الموت أم الحلول في الأشياء أيتها الكآبة المحروقة المشوهة الشمس في دمي
والنار في عروقي فكيف تصليني على صفيح الحزن والبكاء أنا الذي غنيت للجميع دونما تطرف ولا رياء



البلاد.

وفي قلب الحركة وفي خضم الحركة الجماهيرية ومعاركها المتعددة تفتح الوعي السياسي للطلاب علي عبد القيوم، ولعل هذا الواقع هو الذي جعل من «علي» مناضلاً دؤوباً في كل المستويات، ومعبراً حقيقياً عن ذلك الجيل من حركة الطلبة الذي شارك بفعالية في التحضير والانخراط في ثورة أكتوبر، حيث صار عضواً بالحزب الشيوعي حوالي تلك الفترة الغنية، وتعرف على الماركسية من

بقلم: د. فتحي فضل

ثورة أكتوبر ١٩٦٤م في السودان هي التي مارست الأثر الأعظم في التكوين الوجداني للطلاب الشباب والشاعر والمناضل علي عبد القيوم سواء في مسيرته النضالية اللاحقة أو اختياره الفكرية والسياسية وإنجازاته الأدبية والإبداعية.

على إن «علياً» لم يكن وسط الجماهير في ثورة أكتوبر الديمقراطية فحسب، بل كان عنصراً أساسياً في حركة الطلبة والحركة الثورية التي وضعت الأسس لحركة الشعب في إسقاط نظام عبود ... قرأنا بتمعن أدب «الاضراب السياسي العام» وتناقشنا ساعات وساعات في جدواه

... خاصة إن فئة شامي - يوسف عبد المجيد قد رفضته، وتقاغست «اضراب الجبهة الوطنية في تبنينه».

وانخرط ذلك الجيل في التعبئة المستمرة للاضراب عن طريق المظاهرة والكتابة على الحوائط والندوات داخل سور الجامعة، ودخل علي الوجودي - الشيوعي ثورة أكتوبر وساهم في ذلك الدمج المصيري بين النضال التحرري الوطني والأفكار التقدمية لأفانق التغيير الاجتماعي في

أثر ثورة أكتوبر ١٩٦٤م على الشاعر علي عبد القيوم

باب الالتزام وقراءاته السابقة للوجودية ... ومن باب الاعجاب الشديد بالقيادة التاريخية لتلك الفترة، خاصة، عبد الخالق محجوب. إن نجاح الاضراب السياسي كان البرهان العملي للارتباط بين الإمكانيات بين النظرية والتطبيق. والعملية كلها صبت في خاتمة تنوير ذلك الجيل ومعرفة الإمكانيات الثورية الهائلة لشعبنا، لذا بدى طبيعياً أن يخرط علي عبد القيوم ويسهم في التعرف المدروس للماركسية نظرية ووسيلة تساهم في الوصول لحلول أصلها واقع البلد، النظرية والممارسة العملية بالنسبة لعلي هي عملية متواصلة منذ فجر تلك البدايات حتى آخر لحظات عمره.

من مقال: د. فتحي فضل في رثاء علي عبد القيوم المصدر: من ترى انطق الحجر ص ١٧ - ١٨ - ١٩